

تقفيته على أثر كل مسألة بآية تتعلق بها من آى التنزيل، وإردافها بما تحتاج إليه من إعراب وتفسير وتأويل، أثم لا تراه قد استبق الباب فيما أتى به من تدريب للطلاب، وهو الطريقة المثلى لتربية الملكة فيهم، وتبسيط النحو أمامهم وسهولة فهمه عليهم، وقد حرص على تلك الطريقة المتأخرون، وعابوا بسبب إغفالها على المتقدمين.

فابن هشام بعد النظر فى كتب معاصريه وسابقيه وخلوها من حلية «شذور الذهب»، هو فى نظرى صاحب هذا النهج ومبدعه، وإن لم يكن مخترعة فهو مجددته وناشره، وفضل الإذاعة والإظهار يدانى فضل الابتكار. ويعجبني فى هذا المقام كلام للعلامة «حبنى بك ناصف»، قاله يهنىء به ناشراً لمخترع.

«ولعل حاسداً يقول: إن هذا عمل منقول وجماعة أوروبا سبقت إليه، وعولت فيما تقول عليه، فقل لهذا الأعشى، واصفع قفاه ولا تخشى إن فضيلة النشر فى البقاع، لا تقل عن فضيلة الاختراع».

وابن هشام قد أرسى أصول الأدب فى الإعراب، لجماعة الطلاب إذا تصدوا لشاهد من كتاب الله بالإعراب، وإليك ما قاله فى إعراب قول الله سبحانه: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» [البقرة: ٢٥١].

«لولا» حرف يدل على امتناع الشيء لوجود غيره، تقول: «لولا زيد لأكرمتك» تريد بذلك أن الإكرام امتنع لوجود زيد.

و «دفع» مبتدأ مرفوع بالضممة و «الله» اسم الله مضاف إليه، ولفظه مجرور بالكسرة، ومحلّه مرفوع؛ لأنه فاعل الدفع، و «الناس» مفعول منصوب بالفتحة والناصب له الدفع؛ لأنه مصدر حال محلّ إن والفعل، وكل مصدر كان كذلك فإنه يعمل عمل الفعل، أى: ولولا أن دفع الله الناس.

و«بعضهم» بدل بعض من كل، وهو منصوب بالفتحة، وخبر المبتدأ محذوف وجوباً، وكذا كل مبتدأ وقع بعد لولا، والتقدير: ولولا دفع الله الناس موجود. والمعنى: ولولا أن يدفع الله بعض الناس ببعض لغلّب المفسدون وبطلت مصالح الأرض.

أبعد هذا أدب وبيان أم وراءه جمال عبارة وجودة تمثيل وحسن تعليل، اللهم لا؛ ولكن وقف دون إتمام الإعراب ولعله قد نسيه، أو تركه لوضوحه، وكان الخير لو ذكره.